عرض وتعريف بكتاب

الحديث الحسن مطلقا ومقيدًا

عند الإمام الترمذي للدكتور عمر فلاته

عمار محمد أعظم

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عَرض وتَعريف بكتَاب:

الحديث الحسن مُطلقًا ومُقيدًا عند الإمام الترمذي

لمؤلفه

الشيخ د. عمر بن حسن فلاتة

إعداد

عمار محمد أعظم

١٤٤٧هـ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

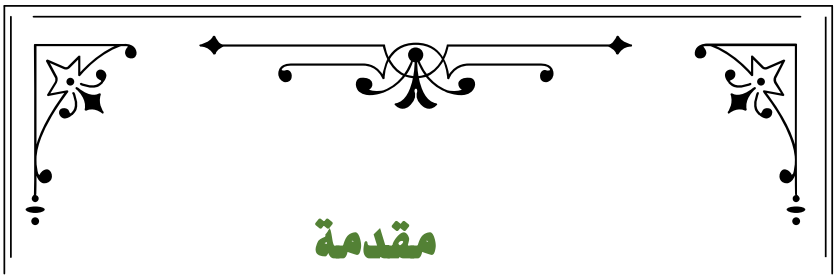

مقدمة

قَدِم رجلٌ إلى الإمام المحدث عبد الله بن المبارك (١٨١هـ) ﷺ متخوِّفًا من كثرة الكذَّابين والوضَّاعين الذين كذبوا على رسول الله ﷺ، فجاءه فزعًا متسائلا قائلًا: "**هذه الأحاديث المصنوعة؟!**"

فكان الجواب من الإمام بكل ثقة واطمئنان إلى جهود المحدثين أن: "**يعيش لها الجهابذة**"[1].

والإمام ابن أبي حاتم (٣٢٧هـ) ﷺ الذي أورد هذه القصة لم يوردها من باب التهويل وخلع أستار القداسة والتعظيم على علماء الحديث؛ لإكبار مكانتهم عند العامة دون أن يكون ذلك واقعًا كما يقول ذلك من يقوله من المشكِّكين في السنة وأهلها، بل كان ﷺ إمامًا من أئمة الحديث في وقته، وإذا تجاوزنا الكلام عن شخصه فستأخذنا أبصارنا إلى والده الذي في كنفه نشأ وتربَّى، فقد ترعرع في

---

(١) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (١/ ٢ - ٣).

كنف جهبذ من أولئك الجهابذة الذين يتحدث عنهم، وفتح عينيه في الدنيا أول ما فتح على رجلٍ سبرَ الرجال والمتون والأسانيد، وكان أحد الأعمدة التي يستند إليها لتمييز الحديث الصحيح ونخلها نخلًا من بين الأحاديث المصنوعة.

ودونك هذا الحدث الذي يرويه ابن أبي حاتم ﷺ نفسه عن أبيه ﷺ لتعرف من هو ذلك الجهبذ، فقد خرج أبو حاتم الرازي ﷺ مرة إلى نادٍ من أندية المحدثين وتحديدًا على باب أبي الوليد الطيالسي ﷺ، وجعل ينادي فيهم: **"مَن أَغرب علي حديثًا غريبًا مسندًا صحيحًا لم أسمع به فله عليَّ درهمٌ يتصدّق به؟"**.

فماذا كانت النتيجة؟

لقد حضر هذا التحدي الذي أطلقه الإمام خلقًا من المحدثين منهم أئمة في الحديث كالإمام أبي زرعة الرازي ﷺ، ولكن مع ذلك لم يستطع منهم أن يأتيه بحديث مسندٍ صحيح لا يعرفه!!!

ومع أن مراد الإمام أبي حاتم الرازي ﷺ لم يكن هو المفاخرة والتَّعالي كما صرَّح بذلك فقال: "وإنما كان مرادي أن يلقي علي ما لم أسمع به فيقولون هو عند فلان فأذهب فأسمع، وكان مرادي أن أستخرج منهم ما ليس عندي"[1].

---

(١) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (١/ ٣٥٥).

ولكن هذه القصَّة توقفنا على الحالة التي عاش عليها رجالات هذا العلم الشريف وجهدهم الذي بذلوه.

ولئن عرَفت هذه الجهود العظيمة التي بذلها أئمة الحديث قديما فإننا نجد من رجالات هذا العصر من انبرى لعلم الحديث النبوي وتجشم للكشف عن صحيحه من ضعيفه وبيان مصطلحاته ويأتي في ذلك الكتاب الذي هو محل حديثنا.

البطاقة التعريفية للكتاب:

اسم الكتاب: الحديث الحسن مُطلقًا ومُقيَّدًا عند الإمام الترمذي.

اسم المؤلف: د. عمر بن حسن فلاته، أستاذ الحديث بجامعة طيبة والمدرس في الحرمين الشريفين.

دار النشر: لا يوجد.

طبعات الكتاب: طُبعت الطبعة الأولى عام ١٤٢٦هـ، ونشر في مجلة جامعة الملك عبد العزيز بكلية التربية عام ٢٠٠٥م (س: ١، ع: ٢، ص: ٢٠٢-٢٧٠). وطبع لاحقًا في غلاف يقع (٨٨ صفحة).

النشر الرقمي: الكتاب متوفر الكترونيا بصيغة PDF.

تمهيد

يندرج هذا الكتاب ضمن تخصص علم مصطلح الحديث، ويعالج واحدة من أكثر القضايا إشكالًا في الاصطلاح الحديثي، وهي: اضطراب دلالة مصطلح "الحديث الحسن" بين الاستعمالات المبكرة والمتأخرة، ولا سيما في كتاب الجامع للإمام الترمذي ﷺ.

وتنبع أهمية هذه الدراسة من كونها لا تكتفي بعرض التعريفات الاصطلاحية، بل تسعى إلى تفكيك البنية الدلالية للمصطلح داخل سياقه التطبيقي عند الإمام الترمذي ﷺ، وهو مسلك يتجاوز الطرح المعتاد الذي استقر منذ الخطابي ﷺ ومَن بعده.

وتتمحوَر الدراسة ضمن إشكالية مفادها:

هل كان مصطلح "الحسن" عند الترمذي ﷺ يُعبِّر عن رتبة حديثية مستقلة كما قرره المتأخرون، أم أنه وصف يتداخل مع غيره من الأوصاف (كالصحة والغرابة) ضمن منظومة نقدية أوسع؟

ومن هنا يتضح أن الدافع العلمي للبحث ليس مجرد تحرير اصطلاحي، بل إعادة قراءة النسق المصطلحي عند المحدثين المتقدمين، ومحاولة ردم الفجوة المنهجية بين التطبيق العملي والضبط النظري.

هدف الكتاب وقيمته العلمية:

ويهدف الكتاب إلى: حل الإشكال العلمي المتعلق بدلالة مصطلح "الحديث الحسن" في جامع الإمام الترمذي ﷺ، سواء كان استخدامه مطلقًا أو مقيدًا.

فيمكن القول بأن هدفه: **الوقوف على مراد الإمام الترمذي ﷺ من هذا الاستخدام الدقيق؛** نظرًا لتباين آراء العلماء حول مصطلحاته، وعدم توصل الدراسات السابقة إلى جواب مقنع يضيف جوابًا أو يحل الإشكالات القائمة.

وتكمن القيمة العلمية للكتاب في منهجه **التحليلي التفسيري الاستقرائي** الذي انطلق من فرضية مفادها: أن تركيب المصطلحات كـ "حسن صحيح" عند الترمذي ﷺ يدل على أن الصحة والحسن والغرابة هي أوصاف يمكن أن تجتمع في الحديث الواحد، وهو ما يمثل نقطة جوهرية تفرق بين منهجه ومنهج علماء المصطلح المتأخرين، وبذلك يمثل الكتاب إضافة نوعية في فهم مصطلح الحديث.

وقد قامت الدراسة على **التحليل المقارن** لمراد الترمذي ﷺ بين الاستخدام "المطلق" و"المقيد" للمصطلح، كما أنها ربطت موضوع الكتاب بجهود الأئمة المتقدمين قبله مثل الشافعي

والبخاري وعلي بن المديني ﷺ.

خطة الكتاب ومباحثه:

انتظم هذا الكتاب في مبحثين رئيسين:

المبحث الأول: استخدام بعض الأئمة قبل الترمذي ﷺ لمصطلح الحسن، ومرادهم من ذلك.

يتناول هذا المبحث استعراض استخدام مصطلح "الحديث الحسن" لدى كبار الأئمة الذين سبقوا الإمام الترمذي ﷺ، ومن أبرزهم: الإمام مالك، والشافعي، ويعقوب بن شيبة، وأبو حاتم وأبو زرعة الرازيان، والإمام البخاري، وعلي بن المديني، والإمام العجلي ﷺ.

المبحث الثاني: مراد الترمذي ﷺ من استخدام مصطلح الحسن مطلقًا ومقيدًا.

يركز هذا المبحث على استخلاص مراد الإمام الترمذي ﷺ من المصطلح، ويضم:

- **تعريف الحديث الحسن** لغة واصطلاحًا بما في ذلك تعريف الترمذي ﷺ نفسه في كتاب العلل.
- **دراسة دلالة** "الحديث الحسن مطلقًا" عند الترمذي ﷺ.
- **دراسة دلالة** المصطلح "المقيد" مثل "حسن صحيح"،

"حسن غريب".

- **بيان الفرق الجوهري بين تعريف الترمذي ﷺ وتعريفات مَن جاء بعده**، مثل: الخطابي وابن الجوزي وابن الصلاح ﷺ.

أهم النتائج:

وقد توصل المؤلف ﷺ في هذه الدراسة إلى نتائج جوهرية مهمة أبرزها:

١. **الحديث الحسن قبل الخطابي ﷺ (الاستخدام المطلق عند الترمذي ﷺ):**

- ✓ إن مصطلح "حسن الإسناد" أو "حسن الحديث" استعمله أئمة كبار قبل الترمذي ﷺ.
- ✓ مراد هؤلاء الأئمة، ومنهم الترمذي في استخدامه **المطلق**، هو: **الأحاديث التي تدور رواياتها على صغار التابعين وأتباعهم** ﷺ.

٢. **الحديث الحسن بعد الخطابي ﷺ (الاصطلاح المستقر):**

- ✓ أن من جاء بعد الترمذي ﷺ ابتداءً من الخطابي ﷺ استخدم المصطلح في معنى آخر.
- ✓ وهذا المعنى هو أن الحديث الحسن **درجة متوسطة بين الصحيح والضعيف**، وأنه **قسيم** لكل من

الصحيح والضعيف.

٣. **دلالات مصطلحات الترمذي ﷺ المركبة:**

- ✓ إن صنيع الترمذي ﷺ في جامعه يدل على أن الصحة والحسن والغرابة **أوصاف في الحديث تجتمع وتفترق** في الحديث الواحد.
- ✓ هذه النقطة الجوهرية توضح الفرق بين تعريف الترمذي وتعريفات الخطابي وابن الجوزي وابن الصلاح ﷺ.

٤. **أول من جعل الحديث الحسن قسيمًا للصحيح:**

- ✓ الإمام الخطابي ﷺ هو أول من جعل الحديث الحسن **قسيمًا للصحيح**.
- ✓ خلافًا لما ظنه بعض الأئمة كابن تيمية ﷺ بأن الترمذي ﷺ هو أول من قسَّم الحديث إلى صحيح وحسن وضعيف.

الخاتمة:

يمثل هذا الكتاب محاولة علمية لإعادة قراءة مصطلح "الحديث الحسن" خارج القوالب الاصطلاحية المتأخرة، من خلال العودة إلى التطبيق النقدي عند الإمام الترمذي ﷺ.

www.alukah.net

وقد نجح في إبراز أن هذا المصطلح لم يكن عند المتقدمين حدًّا فاصلاً بقدر ما كان وصفًا مرنًا يتداخل مع غيره، وهو ما يعيد تشكيل فهمنا لهذا المصطلح ضمن مصطلحات الحديث.

وبهذا، يحتل الكتاب موقعًا مهمًا ضمن الدراسات التي تسعى إلى إعادة الاعتبار لمنهج المتقدمين، ويمثل إضافة نوعية للباحثين في الدراسات الحديثية، خصوصًا في مجال نقد المصطلح وإعادة بنائه.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.